

الحلقة السادسة والثلاثون

سلسلة أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس. وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لاضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، وتشتت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلات الرسول بولس الثلاث في مدن تركيا واليونان آمن الكثيرون بالمسيح، رغم الإضطهادات الشديدة التي تعرض لها.

وفي طريق عودته من رحلته الثالثة توقف الرسول بولس في قيصرية، حيث تنبأ النبي أغابوس أن اليهود سيقبضون على بولس ويسلمونه إلى الرومان. لكن بولس أبدى استعداده لكي يموت من أجل اسم الرب المسيح. وفي أورشليم دعا الرسل والشيوخ بولس لكي يتطهر في الهيكل مع أربعة رجال يهود عليهم نذر. وذلك لكي ينفي ما أشيع عنه، أنه يدعو المؤمنين بالمسيح من اليهود خارج فلسطين، إلى الإرتداد عن شريعة موسى. وفي اليوم التالي أخذ الرسول بولس الرجال الأربعة الذين كان عليهم نذر، وبعدهما تطهر معهم دخل الهيكل. وكان عليهم أن يبقوا هناك لمدة أسبوع، هو أسبوع التطهير. ثم يقدم كل واحد منهم التقدمة الواجبة عليه. وكنا قد شرحنا في اللقاء الماضي عن طقوس التطهير بحسب الشريعة اليهودية، وهي أن يغسل المرء ثيابه ويستحم، وأن يبقى في الهيكل لمدة سبعة أيام، وفي اليوم الثامن يقدم القربان، الذي كان يعتبر ذبيحة إثم.

كان الرسول بولس وكل الرسل الأوائل يؤمنون، أن الإنسان يحصل على خلاص الله عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب. وليس لحفظ الناموس أو لشريعة العهد القديم أي دور في ذلك. فالخلاص هو عطية مجانية من قبل الله نقبلها بالإيمان. أما الناموس بالرغم من قواعده الثمينة، فقد وُضع لكي يكشف لنا مدى عبوديتنا للخطية. ولقد تم المسيح الناموس نيابة عنّا، وحررنا من الشعور بالذنب. ولم يكن الرسول بولس بقبوله التطهر مع الرجال الأربعة الذين عليهم نذر، يعتقد أن ذلك سيساعده في إكمال خلاصه. بل كان يريد أن يؤكد أنه ليس ضد الناموس، ولكي لا يعثر اليهود الذين يريد ربحهم للمسيح.

لكن عندما قاربت الأيام السبعة للتطهير أن تنتهي، رأى بعض اليهود من مقاطعة أسيّا في تركيا الرسول بولس في الهيكل. " فحرّضوا الجمع كله، وقبضوا عليه، وهم يصرخون: النجدة يا بني إسرائيل. هذا هو الرجل الذي يدعو الناس في كل مكان إلى عقيدة تشكل خطراً على شعبنا وشريعتنا وعلى هذا المكان، حتى أنه أدخل اليونانيين إلى الهيكل ودنس هذا المكان المقدس. (أعمال: ٢١: ٢٧-٢٩) قالوا هذا لأنه سبق لهم أن "رأوا تروفيمس الأفسسي مع بولس في المدينة، فظنوا أنه أدخله معه إلى الهيكل". إذ كان ممنوعاً بحسب الشريعة اليهودية أن يدخل غير اليهود إلى الهيكل. لكن التهمة بالطبع كانت باطلة.

كان الرسول بولس قد أصبح مشهورا في كل مكان، أنه يبشر برسالة الخلاص المفرحة، عن طريق المخلص المسيح. ولهذا اعتبره اليهود المتعصبين خطرا عليهم وعلى شريعتهم وعلى هيكلهم. لكن هؤلاء اليهود المتعصبون تجاهلوا أن المخلص المسيح الذي يبشر به الرسول بولس، هو نفسه المسيح الذي سبق لأنبياهم أن تنبأوا به، والذي أشارت إليه كل كتب العهد القديم، والذي كانوا ينتظرونه.

وعندما قبض اليهود على الرسول بولس في الهيكل، وأخذوا يحرضون الجموع ضده. "هاج أهل المدينة جميعا، وهجم الناس على بولس وجروا إلى خارج الهيكل، ثم أغلت الأبواب حالا. (أعمال ٢١: ٣٠-٤٠) وبينما هم يحاولون أن يقتلوه سمع قائد الكتيبة الرومانية أن الإضطراب عمّ أورشليم كلها. فأخذ في الحال جماعة من الجنود وقواد المئات وحضر مسرعا. ولما رأى اليهود القائد وجنوده كفوا عن ضرب بولس. فاقترب القائد وألقى القبض عليه، وأمر جنوده أن يقيّدوه بسلسلتين، وأخذ يسأل: من هو، وماذا فعل؟ فأخذ بعضهم ينادون بشيء وبعضهم بشيء آخر. ولما لم يقدر أن يتبين حقيقة الأمر بسبب الهياج، أمر أن يؤخذ بولس إلى الثكنة. ولما وصل به الجنود إلى الدرج اضطروا أن يحملوه ليخلصوه من عنف المحتشدين. فقد كان جمهور المحتشدين يتبعونه صارخين: ليُعدم. وقبل أن يدخل بولس إلى الثكنة، قال للقائد باللغة اليونانية: أيمكن أن أقول لك شيئا؟ فقال القائد: أتتكلم اليونانية؟ إذن لست أنت ذلك المصري الذي أحدث اضطرابا في المدينة منذ مدة، وتزعم أربعة آلاف رجل من القتلة خرج بهم إلى البرية. فقال بولس: إنما أنا يهودي من طرسوس، وهي مدينة مشهورة في مقاطعة كيليكية. فأرجو منك أن تسمح لي بأن أكلم الشعب. فأذن له القائد."

لقد قبض اليهود على الرسول بولس، وأسلموه إلى الرومان، تماما كما تنبأ أغابوس. وكما سبق للكثيرين أن حذروه، أنه سيحصل له في أورشليم. لكن كما علمنا فإنه كان على استعداد لكي يموت من أجل بشارة المسيح. بعد أن سمح قائد الكتيبة الروماني للرسول بولس بالكلام، "وقف على الدرج، وأشار بيده إلى الشعب. فلما ساد السكوت، أخذ يخاطبهم باللغة العبرية، قائلا: أيها الإخوة والآباء، اسمعوا الآن دفاعي عن نفسي. فلما سمعوه يخاطبهم باللغة العبرية ازدادوا هدوءا، فقال: أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكية. ولكنني نشأت في هذه المدينة وتعلمت عند قدمي غملائيل التريبية الموافقة تماما لشريعة آبائنا."

كان لابد للرسول بولس أن يتحدث لهؤلاء اليهود الذين أرادوا قتله، عن سيرة حياته كيهودي ولد في مدينة طرسوس والتي كانت تقع في تركيا. وكيف تلقى تعليمه على يدي غملائيل معلم الشريعة اليهودية المشهور. ثم تابع الرسول بولس قائلا: "وكنتم غيورا في أمور الله، مثلكم جميعا اليوم. فاضطهدت هذا الطريق حتى الموت، فكنت اعتقل أتباعه من الرجال والنساء، وأزج بهم في السجون. ويشهد رئيس الكهنة ومجلس الشيوخ على صدق كلامي هذا. فقد أخذت منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبض على الذين هناك، لأسوقهم إلى أورشليم فينالوا عقابهم." (أعمال ٢١: ٤٠-٢٢: ٥)

وهنا كشف الرسول بولس لبني جنسه من اليهود، أنه كان يهوديا متعصبا مثلهم تماما، وأنه كان يضطهد المؤمنين بالمسيح، ويزج بهم في السجون. لابل أنه أخذ أمرا من رئيس الكهنة لكي يأتي بهم من دمشق مقيدين. ثم تحدث الرسول بولس للمجتمعين كيف أصبح مسيحيا فقال: "ولما وصلت إلى مقربة من دمشق، وكان الوقت نحو الظهر، أضاء حولي فجأة نور باهر، فوقعت على الأرض، وسمعت صوتا يقول لي: شاول، شاول، لماذا

تضطهذي؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. وقد رأى مرافقيّ النور، ولكنهم لم يسمعوا صوت مخاطبي. فسألت: ماذا أفعل يارب؟ فأجابني الرب: قم وادخل دمشق، وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله. واقتادني مرافقيّ بيدي حتى أوصلوني إلى دمشق، لأنني لم أكن أبصر بسبب شدة ذلك النور الباهر. (أعمال ٢٢: ٦-١١)

كشف الرسول بولس عن الإعجوبة التي حصلت معه. وكيف أضاء حوله نور باهر على طريق دمشق، وهو ذاهب في حملة للقضاء على المسيحيين هناك. وكيف ظهر له الرب يسوع المسيح نفسه وخاطبه قائلاً: شاول شاول لماذا تضطهذي. وشاول هو اسم بولس قبل أن يصبح رسولاً. لكن بولس لم يعلم من هو الذي يجادته، فأعلن له المسيح عن نفسه. وهنا نجد أن المسيح اعتبر اضطهاد شاول للمسيحيين هو اضطهاد له. ثم طلب منه أن يدخل إلى دمشق حيث سيقال له ما يجب أن يفعل. فاقتاده مرافقوه لأنه لم يعد يبصر. سنتابع أعزائي خطاب الرسول بولس وما حدث معه في اللقاء القادم.